

علاقة الأدب العربي بالأدب الأوروبية القسم الثاني

لئن كان حجم تأثير الأدب العربي الحديث فنياً وفكرياً بالأدب والثقافة الأوروبية يسوِّغ القيام بدراسات حول هذا الموضوع، فإنه يحقّ للمرء أن يتساءل عن المراد من دراسات التأثير هذه. هل المقصود بها هو إظهار تبعية الأدب العربي الحديث للأدب الأوروبية، وضخامة تأثير تلك الآداب فيه، وذلك بغرض التصدي لتلك التبعية، والسعي لتحرر منها، وصولاً إلى أدب عربي أصيل وناضج؟ أم المقصود بهذه الدراسات هو إظهار ما يدين به الأدب العربي الحديث للأدب الأوروبية والغربية اعترافاً بفضل تلك الآداب وثقافتها، وذلك عبر الإقرار بأنه قد كان لتأثر الأدب العربي الحديث بالأدب المذكورة دور حاسم في تحديث الأدب العربي وتطويره، وهذا ينطوي على اعتراف بالتبعية وتلذذ بها؟ هل تريد دراسات التأثير أن تظهر للأوروبيين أنّ لهم الفضل في النهوض بالأدب العربي، بغية تملق مشاعر المركزية والتفوق التي يكتونها؟ لا نريد أن نعطي إجابات تنطوي على أحكام تعميمية، لأنّ أحكاماً كهذه قد تكون تعسفية، ولكن لا يسعنا إلا أن نشير إلى أنّ دراسات التأثير المشار إليها ترضي مشاعر المركزية الأوروبية المترسخة في نفوس قسم من الأكاديميين الأوروبيين وفي الرأي العام الغربي. إلا أنّ الأهمّ من ذلك هو أنّ تلك الدراسات تنتقص من أهمية الجهود الإبداعية الحديثة التي بذلها الأدباء العرب، وذلك من خلال التركيز على ما يدين به الأدب العربي الحديث للأدب الأوروبية، لا على ما أنجزه ذلك الأدب جمالياً وفكرياً. وهناك حالات استخدمت فيها مسألة المؤثرات الأجنبية في الإساءة إلى بعض الأدباء العرب والحطّ من قدرهم بصورة مباشرة، وذلك بإظهار الأديب العربي في صورة مقلد أو سارق.

ومهما تكن أهداف دراسات تأثير الأدب العربي الحديث بالأدب الأوروبية ونتائجها، فإنّ تلك الدراسات تقوم على منهج علمي عفا عليه الزمن. وهي لا تخدم تطور الأدب العربي الحديث، لأنّ نتائجها الحتمية هي التعظيم على إنجازاته الجمالية والفكرية، وإبراز جوانب التقليد فيه على حساب جوانب التجديد والأصالة. إنها تضع الأدب العربي الحديث في موقع المتأثر المنفعل، لا في موقع الذات الفاعلة المؤثرة المتجددة. وكما انحسرت دراسات التأثير والتأثر في الأدب المقارن الفرنسي والأوروبي، رغم أنها تخدم نزعة المركزية الفرنسية والأوروبية، فإنّ دراسات التأثير والتأثر العربية، خصوصاً تلك التي تدور حول تأثير الأدب العربي الحديث بالأدب الأوروبية والغربية، ستتحسر أيضاً، وستفسح المجال لدراسات مقارنة عربية تستند إلى مناهج نقدية أحدث، وتنسجم مع الحاجات والمصالح الثقافية العربية بصورة أفضل.

أستاذ المادة

د. أحمد رحيم كريم اللبان